مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

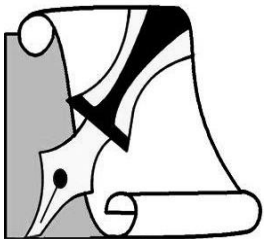

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

١ ــ إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

٢ ــ الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

٣ ــ بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

٤ ــ إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

دور الإعلام الصهيوني في التضليل وتزوير الحقائق

١ – مدخل

إثر انتهاء المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧، تضمّن البند الثالث من بنود برنامج عمله التأكيد على أهمية الدعاية والإعلام في تنفيذ مخطّط "إيجاد الدولة اليهودية في فلسطين، وذلك عن طريق نشر الروح القوميّة والوعي القومي بين يهود العالم وتنميتها". وقد أنشئ المؤتمر لذاك الغرض مكتباً للإعلام المركزي يرتبط مباشرة برئيس المنظّمة الصهيونية العالمية، كما أنّ البروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون تضمّن مجموعة من التوجيهات والاشتراطات تلفت انتباه اليهود إلى الأهمية المتوخّاة من وسائل الدعاية والإعلام وضرورة السيطرة عليها لما لها من تأثيرات مهمّة جداً على الأفراد والجماعات. ومن هنا جاءت الدعوات الاولّيّة لليهود بضرورة "امتطاء صهوة الصحافة وكبح جماحها". أي فرض السيطرة المُطلقة عليها وبشتّى السبل والوسائل الماديّة والإرهابيّة والتوريطيّة، ومنها اللجوء إلى مساعدة ذوي السوابق الأخلاقيّة على تولّي المهام الصحفيّة الكبرى فإذا تبيّن ظهور أيّة علامات للعصيان من أيٍّ منهم سارعوا إلى إرهابه، "بالإعلان عن مخازيه التي نتستّر عليها وبذلك نقضي عليه ونجعله عبرةً لغيره"، حسبما ورد في البروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون.

ولشدّة إدراكهم لاهميّة فرض السيطرة على وسائل الإعلام عمد الصهاينة، وفقاً لنصوص البروتوكولات ذاتها، إلى التأكيد على أنّه "لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع – أي مجتمع – من دون أن يمرّ علينا بهدف أن نتمكّن سلفاً من توجيه دفّة الأمور لصالحنا". وهذا لم يكن من الميسور تحصيله لولا أن عمد الصهاينة إلى أن تكون لهم صحف شتّى يسيطرون عليها لكي تعمل على ترويج أكاذيبهم وهذا هو المتوفّر حالياً فعلاً، إذ يبسطون نفوذهم على أغلبيّة وسائل الإعلام المتنوّعة في دول أوروبا والولايات المتّحدة الأميركيّة.

ولعلّنا لا نُغالي إذا قلنا أنّه لولا سطوة وسائل الإعلام والمقدرة العالية على تشويه وتزوير الحقائق وتضليل الناس لما استطاعت الصهيونيّة وربيبتها إسرائيل جذب الرأي العام العالمي وخاصّةً في المجتمعات الغربيّة حيث تملي القبول بسياستها، بل وأكثر من ذلك هناك من يعتقد أنّه لولا تلك السيطرة على وسائل الدعاية والإعلام لما أمكن ظهور إسرائيل في عالم الوجود.

ومن المُلاحظ أنّ الهيئات الأمنيّة والعسكريّة والإقتصاديّة وخبراء الحرب النفسيّة والسياسيّة في إسرائيل ينفّذون خطّة الدعاية المضلّلة بشكلٍ منسّقٍ ومتكاملٍ ومستمر في سياق إستراتيجيّة دعائيّة ثابتة "لا تتأثّر بالتبدّلات في قمّة السلطة". وهذا يعني أنّ هناك مركزيّة في التخطيط الدعائي تعكسه وحدة المنطق الدعائي وتجانسه وشموليّته. وتُعتَبر وزارة الخارجيّة الإسرائيليّة هي المسؤولة عن تخطيط وتنسيق النشاط الدعائي الإسرائيلي عامّة في دول العالم الخارجي، حتى يمكن وصفها بأنّها جهاز إعلامي متكامل النشاط.

٢- نقطة البداية:

لا تُعَدّ الدعاية الإسرائيلية وليدة اللحظة الراهنة، بل تعود نشأتها إلى بداية التفكير الاستيطاني في فلسطين، خلال مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٩٧. ويُعَدّ تيودور هرتسل مؤسّس الصهيونيّة السياسيّة الحديثة، أوّل من أدرك أهميّة الدعاية لتحقيق أهداف الحركة الصهيونيّة، ولذلك أنشئ جريدة أسبوعيّة أطلق عليها إسم (العالم)، صدر العدد الأوّل منها في الثالث من حزيران عام ١٨٩٧، وقد جاء في افتتاحيّتها: "يجب على هذه الجريدة أن تكون درعاً وسلاحاً للشعب اليهودي، سلاحاً يستعمل ضد أعداء الشعب اليهودي بلا فرق في الدين". وإنطلاقاً من مقولات ورؤى هرتسل، ركّز الإعلام الإسرائيلي منذ نشأته على مراكز الثقل السياسيّة العالميّة في أوروبا، ثم توجّه بعد ذلك نحو أميركا الشمالية، وقد حرصت الوسائل الإعلاميّة الإسرائيليّة على أن تحافظ على علاقة خاصّة بالدول صاحبة القرار السياسي المؤثّر، ليس على المستوى السياسي فحسب، ولكن على المستوى الإعلامي من خلال تأثيرها على الرأي العام الذي أخذ شكلاً منظّماً في تلك البلدان.

يُعرف عن الدعاية الإسرائيلية أنّها من أشدّ أنواع الإعلام دهاءً ومكراً وذكاءً، ولولا التخطيط المُحكَم للعمليّة الدعائيّة من قِبَل إسرائيل والصهيونيّة العالميّة، واستثمار هذا التخطيط بشكلٍ متقنٍ لما استطاع الكيان الغاصب أن يحقّق أكبر عمليّة خداع وغسل للأدمغة، لتهويد فلسطين وتغيير معالمها على مرأى ومسمع من العالم بأسره.

وقد قسّم بعض الباحثين الأساليب الإعلاميّة الصهيونيّة إلى: أسلوب الاستعطاف والإثارة، أسلوب التشبّه بالشعوب وبخاصّةٍ المتحضّرة منها، أسلوب تعظيم الذات، أسلوب الابتزاز والتهديد، أسلوب التهويل، أسلوب تشويه صورة الخصم والتشنيع عليها، أسلوب التزوير، أسلوب التكرار، وأسلوب المناورة والمراوغة الخ.

٣- مخرجات التضليل الإعلامي:

تلجأ إسرائيل إلى استخدام العديد من الوسائل والأساليب للتضليل الإعلامي منها:

أوّلاً: المحاضرات: حيث ينظّم الإسرائيليون العديد من المحاضرات لتُلقى على آذان المستمعين الغربيين، لاستمالة عطفهم وتأييدهم، عبر شخصيّات دينيّة وثقافيّة معروفة من الداخل الإسرائيلي.

ثانياً: الصحافة: حيث يتمّ نشر أخبار مزيّفة عن الفلسطينيين، في العديد من المجلات والصحف الغربيّة، التي تشوّه صورة الفلسطينيين أمام الرأي العام الغربي.

ثالثاً: الكتب: اهتم الإسرائيليون بتأليف الكتب التي تشرح القضية الفلسطينية بحسب وجهة نظرهم، مع تحريف الحقائق التاريخية، بل واتّجه الإعلام الإسرائيلي إلى طبع الكتب التي تحتوي الصور الجذابة عن إسرائيل المتطوّرة والحضاريّة، وتوزيعها كما توزّع الكتيّبات على القرّاء الغربيين بالمجّان.

رابعاً: الراديو والتلفاز: من المُتعارف عليه أنّ إسرائيل تسيطر على أكبر المراكز الإذاعيّة والتلفزيونيّة في الولايات المتّحدة والعديد من الدول الغربيّة، إضافةً إلى امتلاكها لعددٍ كبيرٍ من محطّات الإذاعة المحليّة.

خامساً: السينما: لا شكّ أنّ الدعاية الاسرائيلية بمفهومها الواسع قد أدّت دوراً مميّزاً في التعبئة والإعداد النفسي ليهود العالم لتهيئة المناخات وتزييف التاريخ بأن "أرض الميعاد" تنتظر أبناءها وهو ما عملت عليه السينما الإسرائيلية بعد قيام الدولة لجلب المزيد من المستوطنين من بقاع العالم. وقد عمل الإعلام الإسرائيلي على استغلال السينما من أجل الحصول على المزيد من التعاطف مع اليهود والكيان الغاصب، وذلك عن طريق إعداد الكثير من الأفلام عن مظلوميّة اليهود وأفران الغاز والمجازر الجماعيّة بحقّهم (هولوكوست). كما أنّها عملت على قلب الحقائق المتعلّقة بالقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي رأساً على عقب من خلال عرضها لأفلام تقلب المفاهيم وتزوّرها إعتباطيّاً.

لقد استطاعت السينما الصهيونية بفعل سيطرة المال والإعلام اليهوديين على هوليوود أن تؤدّي خلال نصف القرن الماضي دوراً أساسياً في الدعاية للمشروع الصهيوني في فلسطين وتشويه صورة العربي لدى المشاهد الأوروبي والأمريكي وحتى التسلّل إلى المشاهد العربي من خلال الأفلام الأمريكية التي تغزو دور السينما العربية والبيوت عبر أشرطة الفيديو والقنوات الفضائية الأجنبية والعربية، واستطاعت أيضاً التكيّف مع التغييرات التي طرأت على أمزجة المشاهدين فتحوّلت من مرحلة الدعاية المباشرة الى الدعاية

المستترة، ولم تظهر في المقابل سينما عربية فاعلة ومؤثّرة قادرة على مواجهتها وكشف تزويرها للحقائق وتحريفها للوقائع التاريخية، فاستمرّت في إنتاج أفلام جديدة تحمل خلال هذه الفترة شعار "السلام" المزعوم بالمفهوم الصهيوني.

سادساً: المعارض والمتاحف: استغل الإعلام الإسرائيلي المتاحف والمعارض للترويج لأفكاره، بالإضافة إلى عرض المآسي التي تعرّض لها اليهود على أيدي النازيين (متحف ياد فاشيم).

سابعاً: الهدايا: حيث تهتم القيادات الإسرائيلية بتقديم الهدايا للدول والمؤسّسات والأفراد المسؤولين في مختلف المرافق، الأمر الذي يساعد الدعاية الإسرائيلية على العمل بمزيدٍ من الحريّة.

ثامناً: المؤتمرات الدوليّة: تعتبر المؤتمرات الدوليّة من أفضل الفرص لنشر الترّهات والأباطيل الإسرائيلية، حيث يستثمرها رجال الإعلام الإسرائيليون المتخصّصون أفضل استثمار.

تاسعاً: جمعيات الصداقة الإسرائيلية- الأجنبية: وهي تقوم بالترويج للإحتلال الإسرائيلي عبر إلقاء المحاضرات المدروسة عن أهميّة وجود إسرائيل في الشرق الأوسط بالنسبة لمصالح أمريكا والغرب، وعبر إرسال البرقيّات المؤيّدة لوجهة النظر الإسرائيلية.

لقد كشف موقع يديعوت أحرونوت مؤخّراً عن أنّ السفير الإسرائيلي لدى الأمم المتّحدة في نيويورك، داني دانون، افتتح بمقرّ الأمم المتّحدة في نيويورك معرض صور وملصقات إسرائيلية للدعاية للكيان العبري، وتحسين صورته، يحمل عنوان: "الصهيونية: عودة شعب أصلاني"، وخلال المعرض زجّ لأوّل مرّة بمصطلحات العلوم السياسيّة والاجتماعيّة، التي اجتُرحت في القرن الماضي لحماية الشعوب الأصليّة. وبعدما كانت الصهيونية تتحدّث عن الشرعيّة الدينيّة والوعد الإلهي، ولاحقاً عن شرعيّة وعد بلفور عام ١٩١٧ بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، اعتماداً على التوراة وقصص بني إسرائيل، حمل المعرض الجديد بشكلٍ لافتٍ وبارزٍ ملصقاً واضحاً يصف اليهود بأنّهم "شعب أصلاني"، أي صاحب حقّ تاريخي يعود إلى وطنه. ويرمي استخدام هذا التعبير تحديداً إلى تطعيم الخطاب والدعاية الصهيونيين بمصطلحات الخطاب الليبرالي والحقوقي العالمي، لمواجهة المعتقدات المترسّخة والسائدة بشأن علاقة نشوء الاحتلال الإسرائيلي بالنشاط الاستعماري الذي ميّز القرنَين التاسع عشر والعشرين من جهة، وكونه كان جزءاً من مخطّط الدول الاستعمارية لإبقاء معقل لها في قلب الوطن العربي من جهة أخرى.

ويحاول الخطاب الجديد الترويج لما بلوره الاحتلال الإسرائيلي في المدّة الأخيرة في ظلّ مواجهة حركات المقاطعة الدوليّة وتراجع شرعيّته في صفوف أوساط واسعة من الرأي العام العالمي، من "خطاب حقوقي" يساند خطاب الدعاية الإسرائيلي بشأن القواسم الثقافيّة والحضاريّة المشتركة بين الكيان والغرب. فقد كتبت السفارة الإسرائيلية تحت ملصق بعنوان "الصهيونية: عودة شعب أصلاني": "الصهيونية هي حركة تحرير الشعب اليهودي الذي تطلّع على مدار ١٩٠٠ سنة إلى التغلّب على القمع واستعادة حقه في تقرير المصير في وطنه الأصلي (Homeland Indigenous)، فإنّه على مدار ٢٠٠٠ عام بعد احتلال وطنهم وقمعهم على يد الرومان تاق اليهود للعودة إلى (أرض إسرائيل)، والانضمام إلى اليهود الذين كانوا فيها أو من لم يغادروها البتّة، واستعادة استقلالهم".

المُلفت أنّ ملصقات المعرض لا تتطرّق، ولو بكلمةٍ واحدة، إلى مصير "الشعب الأصلاني" الذي عاش في فلسطين، ولا إلى المجازر وعمليات الطرد الوحشي التي نفّذتها الحركة الصهيونية بحقّ الشعب الفلسطيني بعد تدمير وطنه واحتلاله، بل يشمل المعرض لوحات من وحي التاريخ الصهيوني لفلسطين على مرّ العصور، بينها جداريّة تصوّر سبي اليهود إلى روما بعد تدمير الهيكل الثاني عام ٧٠ للميلاد بعد التمرّد اليهودي على الرومان. وتوجد جداريّة أخرى لأسطورة انتحار المجموعات اليهوديّة المتطرّفة في قلعة "متسادا"، وصور لسفن المهاجرين اليهود بعد الحرب العالمية الثانية إلى فلسطين، مع صور تُظهر تل أبيب المُعاصرة والقدس الحديثة. وفي هذا السياق جاء تحت ملصق عنوانه: "القدس العاصمة الروحانيّة والماديّة للشعب اليهودي": "إن الشعب اليهودي هو الشعب الأصلاني للقدس، وقد حافظ على وجود دائم في أرضها منذ عام ١٠٠٠ قبل الميلاد. لقد كانت القدس مركز ومحور الحياة اليهودية، والمركز الديني أكثر من ٣ آلاف سنة، وهي مقدّسة أيضاً للمسيحيين والمسلمين"، ويحوي الملصق صوراً لقبّة الصخرة وحائط البراق وأخرى لكنيسة القيامة، وصوراً لمصلّين يهود قبل عهد الانتداب البريطاني عند حائط البُراق.

وهكذا تبدو محاولات الاحتلال الإسرائيلي لابتلاع تاريخ فلسطين ومحوها من الخريطة مستمرّة في ظلّ غياب التأييد العربي والإسلامي الكافي للحقوق الفلسطينية، لكن الحكومة الإسرائيلية، ومعها حفنة من علماء التاريخ، مستمرّة في تزوير التاريخ واختلاق الأكاذيب، لتذويب الحقائق ومحوها بعيداً عن أنظار العالم، وقد نصحو يوماً لنجد المسجد الأقصى جزءاً من التراث اليهودي في القدس المحتلة، لا سمح الله.

٤- المنطق التبريري:

لقد ركّزت الصهيونيّة العالميّة، وبشكلٍ هائلٍ منذ قيام كيانها،على الدعاية والإعلام لتكبير الدور الحضاري المزعوم لليهود في المنطقة العربية على وجه الخصوص وفي العالم بوجهٍ عام، وكيف أن اليهود غيّروا مجرى الأحداث السياسيّة والعلميّة في العالم مثل ماركس وفرويد وأينشتاين، وتأكيد أن إسرائيل حقيقة تاريخيّة، وحجّتها في ذلك أنّها دولة قائمة ولها حقّ البقاء، في حين أنّها كما يقول المؤرخ هـ . ج . ويلز في كتابه "تاريخ العالم" ليست سوى سطور متناثرة في كتاب حضارة الشرق الأوسط الضخم الذي سطّره العرب.

إنّ التشويه الإعلامي اليوم يتمّ عبر قنوات التلفزة، وعبر أثير الإذاعات، والمواقع الإلكترونية المختلفة، وصفحات الجرائد اليومية، بلغاتها الـ١٦ التي يتوجّه الإعلام العبري به إلى مواطنيه والعالم، بالرغم من التركيز الأساسي على اللغات الثلاثة الأساسيّة: العبريّة، والعربيّة والروسيّة إضافةً إلى الإنكليزيّة التي تعتمدها إسرائيل كلغةٍ دبلوماسيّة خارجيّة في مخاطبة الرأي العام الأمريكي والأوروبي والعالمي، أمّا العربيّة التي تُعتبر الثانية والمتداولة في إسرائيل بسبب وجود الأقليّة العربيّة التي تشكّل حوالي ٢٠ في المئة من إجمال سكان الدولة العبريّة، الموجودة في دولتها المصطنعة، فإنّ الدعاية الإسرائيلية تستخدمها لمخاطبة العالمين العربي والإسلامي عامّة والشعب الفلسطيني خاصّة، سواء في الداخل أو مناطق الشتات المختلفة مستغلّةً بعض العرب العاملين في أجهزتها.

إنّ تحويل الضحيّة إلى مجرم هو أسلوب يهودي معروف استخدمه الإعلام الإسرائيلي الموجّه بحرفيّةٍ عاليةٍ ضمن منطق تبريري كاذب لتغطية الجرائم الصهيونيّة التي لا تُعَدّ ولا تُحصى، فعمليّات الاغتيال للشخصيّات الفلسطينية مبرّرة بالكامل، بحسبه، لأنّها وراء أعمال عنف إرهابيّة ألحقت أضراراً "بالشعب الإسرائيلي" كما في حال اغتيال الكثير من قيادات المقاومة اللبنانيّة والفلسطينيّة حتى لو كان شيخاً مشلولاً مثل الشيخ الشهيد أحمد ياسين. كما استخدم ألفاظاً تمويهيّة ذات وقعٍ خفيفٍ للتعبير عن عمليات الاغتيال، مثل: "الدفاع الإيجابي، التصفية الموضعيّة"، من دون تفرقة بين عسكري ومدني ورجل مشلول وشاب من المقاومة. وفي هذا السياق قالت غولدا مائير ذات مرة من باب العهر الاعلامي: "لن أسامح الفلسطينيين لأنّهم يجبرون جنودنا على قتلهم"!!. فهذا مثال واضح لتشويه الحقيقة وصناعة أخبار من وحي الأهداف العدوانيّة لتصبح كما الأحداث الحقيقيّة، حين تتناقلها وسائل الإعلام من دون تعليق أو نقد.

٥- شيطنة الآخر:

وجدت إسرائيل في "شيطنة" الآخر الحلّ الأمثل في محاولاتها نزع الشرعيّة عن الشعب الفلسطيني وتجريم النضال الوطني ضدّ الاحتلال، فاعتراف الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات بإسرائيل وتوقيعه اتفاقيّات "أوسلو" عام ١٩٩٣ وقراره السير نحو تسوية سياسيّة مع الدولة العبريّة، لم يشفع له عندما تبيّن لصنّاع القرار في تل أبيب أنّ الرجل يتشبّث بسقف الحدّ الأدنى فلسطينياً والذي يتضمّن إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة. فهنا وجدت ماكينة الدعاية الإسرائيلية فرصتها في الانقضاض على عرفات، وتصويره على أنّه "التوأم" الفلسطيني لأسامة بن لادن. وقامت إسرائيل بفبركة التّهم لعرفات وحمّلته مسؤوليّة العمليّات الاستشهادية، وقدّمت انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ على أنّها "ردّ عرفات على المقترحات السخيّة" التي قدّمها له رئيس الحكومة آنذاك ايهود باراك في مؤتمر كامب ديفد "الذي سبق اندلاع الانتفاضة". وأصبح عرفات هو "أبو الشرور" بالنسبة لإسرائيل، ورويدا رويداً تبنّى الكثير من دول العالم الموقف الإسرائيلي من عرفات، وخصوصاً إدارة الرئيس بوش الابن. هكذا نجحت الدعاية الإسرائيلية القائمة على صناعة الأكاذيب في تحويل عرفات الزعيم المنتخب للشعب الفلسطيني، من شريك لإسرائيل في التسوية السياسيّة إلى معتقل في إحدى زوايا مقرّه المدمّر في مدينة رام الله إلى أن اغتيل مسموماً.

اللافت للنّظر أن صنّاع القرار في الدولة العبريّة الذين استطاعوا إقناع الكثير من دول العالم بنبذ عرفات وتجاهله على اعتبار أنّه غير ذي صلة "not relevant" كما كان يحلو للرئيس بوش أن يطلق عليه، لم يكونوا يصدّقون ما يقذفون عرفات به. ويقرّ الوزير الاسرائيلي السابق، دان مريدور، الذي كان مكلّفاً بالإشراف على الأجهزة الاستخباريّة في عهد حكومة شارون الأولى، أنّه شخصيّاً لم يعثر على أي دليل واحد يربط بين عرفات وبين عمليات المقاومة في انتفاضة القدس (هآرتس ٢٠٠٤/١٠/٩).

في الوقت نفسه رفضت الدعاية الإسرائيلية وجود المقاومة الفلسطينية كردٍّ على الاحتلال وكرفضٍ للتسليم بالغبن التاريخي الذي يكابده الشعب الفلسطيني على مدى مئة عام، وصوّرت الفلسطينيين على أنّهم "مجدّدو الفكر النازي" كما يقول بنيامين نتنياهو والفلسطينيون هم الطامحون لتدمير "الدولة التي أقامها اليهود على أرض أجدادهم"، كما كان شارون يردّد دائماً. وكل مقاوم فلسطيني قتل أو جرح أحداً من جنود الاحتلال هو "إرهابي ملطّخة أياديه بالدماء" ويحظر الإفراج عنه إن كان معتقلا، بينما يقلّد جيش الاحتلال الضابط قاتل الطفلة الفلسطينية الشهيدة إيمان الهمص في مدينة رفح وسام البطولة!. ولا أحد

يكترث بما دأب إيهود باراك على التفاخر به دائماً، عندما يعود لذكرياته كقائد لـــ "سييرت متكـــال " أهـــم فرق القتل في جيش الاحتلال، وتصويره حالة الانتشاء التي كان يمرّ بها عندما يقوم بتصفية قادة منظّمـــة التحرير في لبنان، حيث يقول "لقد كان يعجبني تطاير بياض عيونهم بعد أن أفرغ رصاصي في رؤوسهم".

٦- إزدواجية المعايير:

لقد استخدمت الدعاية الإسرائيلية منطقين متناقضين: واحد إيجابي وآخر سلبي. الأوّل يدور حول تأكيد الشرعيّة الإسرائيليّة المزعومة، والثاني يركّز على تشويه الرواية الفلسطينية الوطنيّة والقوميّـــة العربيّـــة. والمنطق الإيجابي يدور إجمالاً حول متغيّرات أساسيّة نستطيع أن نوجزها في التالي:

إسرائيل حقيقة تاريخيّة، إسرائيل ترتبط حضاريّاً بالوجود الغربي، إسرائيل تعبّر إيديولوجيّاً عن العقائد السياسيّة المعاصرة ولذلك هي تدّعي إيمانها بمبدأ العالميّة، إسرائيل تدافع عن مبدأ المسؤوليّة التاريخيّـــة، إسرائيل دولة عصريّة حداثيّة تمثّل أقصى مراحل التقدّم، إسرائيل تنتمي إلى منطقة الشرق الأوســـط منـــذ القدم جغرافيّاً وتاريخيّاً وحضاريّاً.

أمّا المنطق السلبي المرتبط بتشويه الواقع العربي فيتمركز حول المداخل الفكريّة التالية: الطابع القومي العربي يعكس التخلّف ويرفض جميع صور التقدّم الحضاري العالمي، الأنظمة العربيّة لا تعبّر عن واقـــع العصر بل هي ليست سوى مجموعة من النظم الدكتاتوريّة الفاسدة التي تتّخذ من وجود إسرائيل والقضـــية الفلسطينية ذريعة للبقاء، الاختلاف والصراع حول الأوضاع الداخليّة ومسائل السلطة هو المحور الثابـــت المعبّر عن جميع أنواع الأنشطة والاهتمامات الحكوميّة، المواطن العربي هو تعبير عن الوحشيّة والتخلّف التي ميّزت جميع مراحل تاريخه، نكران الجميل والقدرة على الابتزاز هي ما يميّز العربي الفرد عن غيره وكذلك الحكومات العربيّة عن غيرها، المجتمع العربي مجتمع أصيل في استرخائه وكسله وعدم إنتاجيّتـــه، وبالتالي لا وجود لوظيفة تاريخيّة للحضارة الإسلاميّة التي تتحوّل، في منطلق التصوّر الصـــهيوني، إلـــى أسطورةٍ لا وجود لها، ولتكتمل هذه الخصائص السلبيّة يتمّ تضخيم فشل أي حركة من حركـــات الوحـــدة القوميّة العربيّة.

٧- من يدير عمليات الفبركة الإعلامية الإسرائيلية:

أوّلاً: موقع ديبكا الإخباري: هو موقع لتحليل الأخبار العسكريّة والاستخباراتيّة والسياسيّة، وطرح نظريّات المؤامرات ونشرها، والترويج للأخبار المفبركة والكاذبة من أجل خدمة مصالح النظام الإسرائيلي، وهو بدأ العمل في صيف العام٢٠٠٠. وتتميّز الأخبار، التي أكثرها كاذب ومفبرك، في هذه الوكالة بأنّها يتمّ نسبتها إلى "مصادر مجهولة" أو "مصادر لا تعرّف عن نفسها". وبالتالي تنقل بعض المواقع العربيّة الأخبار من تلك الوكالة، وتصدّقها وتطلق الأحكام بناءً عليها! ويتبنّى محرّرو الموقع مواقف يمينيّة متطرّفة من الصراع العربي الإسرائيلي، وذلك بضخّهم أخباراً ومواد نشرت في الصحف الأمريكية أو أنّها وردت في كتب صدرت حديثاً، معتمدين على حقيقة أنّ المتصفّحين لا يتمكّنون في الغالب من متابعة ما تنشره دور النشر وكل الصحف. وينشر محرّرو الموقع موادّاً باللغة الإنجليزية لأنّه يتلقّى دعماً مالياً سخيّاً من جهات أمريكيّة يهوديّة، على اعتبار أنّ المواد التي تُنشر باللغة الإنجليزية تخدم الخط الدعائي للوبي اليهودي.

ثانياً: معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط "ميمري": العقيد الإسرائيلي يغال كارمون هو مؤسّس وكالة ميمري، وهي وكالة مقرّها واشنطن ولا تهدف إلى الربح المادي، وتحصل على دعمها من عدّة مؤسّسات ووكالات مرتبطة بإسرائيل واللوبي الإسرائيلي، حيث تأسّست عام ١٩٩٨، واشتهرت بشكلٍ كبيرٍ بعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ . أسّسها سبعة ضباط عسكريين سابقين في القوّات الإسرائيلية وعلى رأسهم "يغال كارمون"، وهو عقيد إسرائيلي خدم في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية منذ ١٩٦٨ حتى ١٩٨٨، حيث وُجِّهت إلى وكالته عدّة اتّهامات غير رسميّة بالكذب وتحريف الكلام من خلال الترجمة.

تقوم هذه الوكالة الصهيونية باقتباس واختيار الأخبار والمقالات واللقاءات من القنوات والصحف والمجلات والمواقع العربية بطريقة استنسابيّة، ثم تعمد إلى ترجمتها وتحريف بعض الكلام فيها، ثم نشرها باللغة الإنجليزية بهدف تشويه صورة العرب وتحسين صورة إسرائيل.

٨- نماذج من التضليل في مناسبات محدّدة:

أ - **في الانتفاضة الثانية، انتفاضة الأقصى،** حاولت السلطات الإسرائيلية منذ البداية فرض تعتيم إعلامي على الأحداث، حيث بادرت سلطة البثّ الإذاعي والتلفزيوني الإسرائيلي إلى إغلاق وسائل الإعلام

المسموعة والمرئيّة والمكتوبة أمام المسؤولين الفلسطينيين والقيادات العربية داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وقلّلت من قيمة المواجهات، وزوّدت الإعلاميين بأرقام مضلّلة حول الضحايا، ثم تبدّل التكتيك الإعلامي الإسرائيلي باتّجاه تصوير المواجهات وكأنّها اشتباكات مسلّحة بين الشعب الفلسطيني المسلّح الذي يهاجم المدنيين الإسرائيليين، ويعتدي بشكلٍ سافرٍ على الأمن الإسرائيلي والقوات الإسرائيلية التي تدافع عن نفسها بهدف تبرير القصف العشوائي الإسرائيلي ضدّ الأحياء السكنيّة الفلسطينية. وبرَّر الإعلام الإسرائيلي سياسة الاغتيالات، وعمليات القتل والتصفية باعتبارها شرعيّة وفق قاعدة "من يرد قتلك بادر إلى قتله"، وبالتالي فالقياديّون الفلسطينيون مسؤولون عن مقتل عشرات الإسرائيليين، ويخطّطون لعمليات أخرى، لذلك فليس هناك أكثر شرعيّة من قتلهم وتصفيتهم جسديّاً، والأمر يُعتبر بمثابة تنفيذ لحكم الإعدام بحقّهم، ويحبط عمليات إرهابيّة مستقبليّة كانوا يخطّطون للقيام بها.

كانت التغطية في الوسائل الإعلاميّة الإسرائيلية انتقائيّة إلى حدٍّ كبير، حيث تمّ تخصيص مساحات واسعة للحديث عمّا أسموه العنف الفلسطيني، في حين تمّ إهمال القمع الإسرائيلي للمدنيين الفلسطينيين، أو تصويره على أنّه ردّة فعل لا مفرّ منها، وتوسّعت الوسائل الإعلاميّة الإسرائيلية في استخدام صيغ المبني للمجهول لمحاولة إخفاء هويّة المجرم، واستخدام صيغ المبني للمعلوم في الإشارة إلى "العنف والإرهاب الفلسطيني"، ولم تعطِ الحقّ لأي فلسطيني بالدفاع عن حقّه وأخذ رأيه بما يجري من أحداث في المناطق المحتلة. وخلال المجازر والمواجهات التي ارتكبها الطرف الإسرائيلي وُجِد دائماً تبرير إعلامي، لا بل عمل كل ما من شأنه أن يضرّ بالمصلحة الفلسطينية، فالتركيز ينصبّ على ما يصدره الرئيس الفلسطيني وكبار المسؤولين من تصريحات، بينما المعلومات عن الحصار والقصف الإسرائيلي غابت تماماً، وقد كتب مراسل تلفزيون "سكاي" من خلال تغطيته لقمّة شرم الشيخ لوقف العنف في شهر تشرين أول ٢٠٠٠ يقول : "قام المسؤولون الإسرائيليون بتوزيع نسخ من أفلام فيديو تصوّر ما وصف بالاستفزازات الفلسطينية، ومعها نشرات برّاقة تظهر صور الضحايا الإسرائيليين بعد عمليات تفجير نفّذها فلسطينيون، وكان من المستحيل أن يمرّ أي مسؤول أو صحافي أجنبي في ردهة الفندق الذي أقامت فيه الوفود دون أن يقع في فخ الدعاية الإسرائيلية، بينما لم يكن للفلسطينيين أي صوت أو صورة".

لقد تحوّل الإعلام الإسرائيلي بشكلٍ واضحٍ خلال سنوات انتفاضة الأقصى إلى جزء من آلة الحرب ضد الشعب الفلسطيني، يقوم بدور أمني من خلال التسريبات الخطيرة باعتبارها تتضمّن قدراً من الحقيقة وصنوفاً من التضليل، وتثير بلبلة في الشارع الفلسطيني، وتستغلّ كافّة الثغرات في المجتمع الفلسطيني، وفي هذا الإطار يعترف الصحافي الإسرائيلي موشيه شلونسكي، مدير عام "أخبار إسرائيل" بقوله: "أنا لا

أبحث عن الموضوعيّة في تغطية الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني. أنا أقف إلى جانب قضيتي". ويستدرك شلونسكي: "إنّ السبب الرئيسي لعدم قيام وسائل الإعلام الإسرائيلية بتحرّي الحقائق حول الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، ينبع من التعلّق المفرط لوسائل الإعلام بمصادر المعلومات، أي بالناطق العسكري".

ب – نموذج إخلاء مستوطنات قطاع غزة: نجحت إسرائيل إعلاميّاً من خلال خطّتها لإخلاء مستوطنات غزة في أكبر حملة إعلاميّة استثمرتها عربيّاً ودوليّاً، فقد استطاعت الدراما التلفزيونيّة المصوّرة بالعدسة المموّلَة إسرائيليّاً أن تطمس صورة المستوطن الذي لا يتورّع أبداً عن القتل، وحكومته التي تقف وراء مشروع الاستيطان لصالح دعاية إسرائيلية كاذبة حول تنازلات من أجل عملية السلام الوهميّة. فقد نقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي مسرحيّة إخلاء المستوطنات في قطاع غزة لتكثّفها في الضفة الغربية، فأعلنت إجلاء مستوطنتي حومش وسانور في فترةٍ قصيرةٍ ومن دون ممانعة، بعد اتّفاق مع المستوطنين على إظهارهم أمام عدسات الكاميرات وهم يقاومون، ونُفِّذَت المسرحيّة كما خُطِّطَ لها ومن دون أي مقاومة، وظهروا أمام الكاميرات، وهم يرشقون الجنود بالقمامة والزجاجات الفارغة، ويردّدون هتافات ضدّ الانفصال وضد أرئيل شارون. وكانت عناصر الرسالة الإعلاميّة والفئات المستهدفة من هذه الرسالة واضحة تماماً، بينما غرق الفلسطينيون في وضعهم وخطابهم الداخلي، وفي ذات السياق خدم بعض الفضائيات العربية من حيث يدري أو لا يدري، الإعلام الإسرائيلي، فعمل على تشويه وتقزيم القضية الفلسطينية عبر تشبيه ما حلّ بالمستوطنين في غزّة بما حلّ بالفلسطينيين في العام ١٩٤٨، فبن كاسبيت كبير معلّقي صحيفة معاريف، هو أوّل من أطلق على المستوطنين الذين أخلوا أماكنهم اسم "لاجئون"، بل أطلق على مخيمات الترف التي أُقيمت في وسط تل أبيب بمخيمات اللاجئين، وهناك من أطلق مصطلحات محفوظة حصراً للشعب الفلسطيني، مثل ناحوم برنياع كبير معلقي يديعوت، الذي اعتبر أن إخلاء المستوطنين يمثّل النكبة بالنسبة لهم. وأبرزت وسائل الإعلام الإسرائيلية مظاهر المقاومة والممانعة التي أبداها المستوطنون وأنصارهم حتى قبل أشهر من تطبيق خطّة فكّ الارتباط، وذلك بشكلٍ مبالغٍ فيه، ولا يتطابق مع حجم المقاومة الحقيقيّة التي ظهرت خلال تطبيق الخطّة، وذلك من أجل الإثبات للعالم أنّه إذا كان إخلاء المستوطنات في قطاع غزة الذي لم يحظَ فيه الاستيطان بإجماع إسرائيلي يجد كل هذه الممانعة، فكيف إذا كان الأمر يتعلّق بالضفة الغربية؟!

ج – نموذج حرب لبنان الثانية ٢٠٠٦: صوّرت وسائل الإعلام الاسرائيلية أهداف حرب لبنان الثانية صيف ٢٠٠٦ بأنّها حاسمة وواضحة، حتى عندما كانت الأهداف تتغيّر وتتبدّل من يومٍ إلى آخر، ونشر

العديد من المقالات في الصحف الإسرائيلية حول الحرب وتحميل حزب الله المسؤولية الكاملة عن نشوبها. وقد نشرت صحيفة "معاريف" مقالة بقلم "أمنون دنكنر ودان مرغليت"، الأول رئيس تحرير الصحيفة والثاني أحد كبار المحررين فيها، جاء فيها من جملة أشياء: "... يجب أن نستخدم أولاً تفوّقنا الهائل في استخدام وتفعيل نيران المدفعيّة والجوّ، بحيث لا تبقى أزقّة أو بيوت، وحتى تصبح الخنادق والتحصينات مدفونة تحت أنقاض الدمار. لا مكان في هذا الوقت للشفقة والإحساس المرهف، سكّان القرى الذين أُنذروا بوجوب ترك قراهم هم المسؤولون عن حياتهم، فبعد ذلك يجب العمل (ضد هذه القرى) بكامل الحزم وكامل القوّة الناريّة، لقد توصّلنا إلى قراراتٍ مماثلة في عمليات القصف الجوّي الثقيلة التي قمنا بها في بيروت وأماكن أخرى في لبنان، وقد أعلنا أنّنا لن نراعي أن هناك عائلة شيعيّة تعيش بطمأنينة في شقة قائمة فوق مستودع للصواريخ، الويل لنا إذا عملنا وفق معايير نسبيّة فنحن نعيش هنا بشكل غير نسبي وسط بحر واسع من الأعداء الذين يسعون للفتك بنا، لا نريد أن نظهر كهمجيين أكثر من اللازم، كما أنّنا لا نريد أن نتكبّد خسائر جسيمة بسبب إحساس مرهف أكثر من اللازم، علينا أن نمضي قدماً حتى النصر، بكثيرٍ من الحزم والتصميم وقليل من العواطف والحساسيّة".

إن استعراض ما نُشر في وسائل الإعلام الإسرائيلة يُظهر تعاطف الإعلام مع خيار الحرب كخيارٍ وحيد، حيث امتنعت الوسائل الإعلاميّة بصورةٍ منهجيّةٍ عن إعطاء منبر للمواقف والآراء التي عارضت الحرب لاعتبارات أخلاقيّة أو حتى لاعتبارات إستراتيجيّة.

د- نموذج حرب غزة: تخلّى الإعلام الإسرائيلي عموماً عما كان يردِّده من مفاهيم الليبرالية وحريّة الرأي والديمقراطيّة وما يتبعها من حياديّة وموضوعيّة، وتخندق في حرب غزة في صفوف الجيش، حيث انكشف الوجه القبيح للعنصريّة الإسرائيلية، وقدّمت كافّة الوسائل الإعلاميّة الإسرائيليّة إعلاماً غلبت عليه فنون الدعاية وألاعيب الحرب النفسيّة.

ففي اليوم الثالث للحرب خرجت صحيفة هآرتس بافتتاحيّة تقول فيها: "يمكن أن نفهم منطق ردّ الجيش الإسرائيلي. فلم تكن القوات الإسرائيلية محتاجة إلى تحميس وسائل الإعلام التي سلكت سلوك المشجّعات المتحمّسات في مسابقة، ولا لربح الانتخابات التي تضرب ظهور الساسة الباحثين عن العناوين. فمواطنو النقب الغربي الذين عاشوا في خوفٍ كل يوم، والطلاب المذعورون في رياض الأطفال والمدارس، ومساحة الدولة ذات السيادة المخترقة بلا انقطاع هي التي تمنح العمليّة شرعيّتها".

وحتى عندما تناثرت أشلاء جثّة الطفلة الفلسطينية الغزيّة في ساحة بيتها، والتهمت الكلاب الجثث، وهدّمت المساجد والمدراس والمنازل على من فيها، لم تتحرّك مشاعر القائمين على وسائل الإعلام الإسرائيلي، ولم تتحلَّ حتى بالحدِّ الأدنى من الصدقيّة والمهنيّة، واختارت في اليوم التالي صور أطفال ومسنين يهود من عسقلان يجلسون داخل الملاجئ في حال رعب، لتسطّر الصحافة الإسرائيلية عناوين تشجّع على الحرب وتدفع نحو القضاء على "الإرهاب الفلسطيني" عبر عملية "الرصاص المصبوب" "لإعادة الأمن إلى سكان جنوب إسرائيل"، ولم تجد الصحافة مكاناً حتى في صفحاتها الداخليّة، لمجرّد ذكر معاناة أطفال غزة ونسائها، من ضحايا القصف الجوي الرهيب الذي اعتبره الصحافيون الإسرائيليون عملية لوقف قصف الصواريخ الفلسطينية الإرهابية.

وجنَّد الصهاينة أطقماً إعلاميّة استغرق تدريبها أشهراً طويلة لتكون جاهزة للمعركة، وقد أكَّد ذلك البروفيسور (دوف شنعار) المحاضر في جامعة بن غوريون في بئر السبع، والذي قال في تصريح لوكالة (فرانس برس): "إن إسرائيل تعلّمت من تجاربها السابقة استخدام العلاقات العامّة ووسائل الاتّصالات للتوجّه إلى الدبلوماسيين، لتعريف العالم بأسباب الحملة العسكريّة وتفاصيلها".

أما من تضامن بالكلمة العابرة من الإعلاميين الإسرائيليين تجاه ما حدث في غزة ٢٠٠٩ فقد شُنّت عليه الحملات الإعلاميّة، واتّهم بالخيانة، ومنها ما حدث مع المذيعة بونيت ليفي التي أبدت تعاطفها مع الأوضاع الإنسانية في غزة خلال إحدى النشرات الإخبارية في القناة الإسرائيلية الثانية، ثم بكت في نهاية نشرة لاحقة. واتّخذت الحملة أشكالاً عديدة بدأت بتوقيع عريضة لطردها من عملها، ثم تقديم شكاوى ضدّها للجهة التي تعمل لديها بإعتبارها خائنة. وتهمة يونيت ليفي أنها قالت في اليوم الثالث للحرب على غزة، وفي نهاية النشرة: "من الصعب إقناع العالم بأن الحرب عادلة عندما يموت لدينا شخص واحد بينما يموت من الفلسطينيين أكثر من ٣٥٠ شخصاً".

٩- نماذج فاشلة من التضليل الإسرائيلي:

كثيرة هي الأمثلة التي تبيّن زيف وكذب الإسرائيليين في قلب الحقائق الفلسطينية، وتشويه صورة الفلسطينيين أمام الرأي العام، ومن أبرز هذه الأمثلة:

أ – **حظر بريطانيا لإعلان إسرائيلي مضلّل عن القدس:** على إثر مظاهرة مؤيّدة للحقوق الفلسطينية ومناهضة لإسرائيل في بريطانيا حظرت هيئة رقابة الإعلانات البريطانية إعلاناً قالت إنّه مضلّل وقد يدفع الناس لاتّخاذ قرارات غير مناسبة، حيث تحاول إسرائيل من خلاله الترويج للقدس الشرقية كجزءٍ منها، وأبدت الهيئة في الوقت نفسه تفهّمها بأن وضع الأراضي التي تتعلّق بهذه المسألة يثير نزاعات دوليّة متكرّرة. وبيّنت أن عرض الإعلان من شأنه تضليل الجمهور ودفعه للاعتقاد أن البلدة القديمة من القدس الشرقية هي جزء من إسرائيل، ممّا يدفعه ربّما لاتّخاذ قرارات ما كان ليتّخذها لو كان الوضع خلاف ذلك. ويظهر الإعلان الذي صوِّر على شكل بانوراما وربط النص بالصورة أنّ البلدة القديمة بالقدس الشرقية هي جزء من دولة إسرائيل، حيث يهدف إلى الترويج السياحي بهدف حثّ السياح على زيارة هذه الأماكن لتكريس نوعٍ من الشرعيّة الشعبيّة لها.

ويرى مراقبون أنّ مكتب الترويج السياحي الإسرائيلي أظهر مرّةً أخرى أنّه ذراع دعاية للحكومة الإسرائيلية، وأنّ منشوراته لا يمكن الوثوق بها أو التسليم بمحتواها، وأن الجهة الرسميّة الإسرائيلية لديها سجّل حافل بتضليل الجمهور والرأي العام، وبالتالي تمّ حذف الإعلان من قبل هيئة معايير الإعلان في المملكة المتّحدة.

ب – **استقالة إعلاميين أجانب لمجرّد نقدهم السياسة الإسرائيلية:** قدّم جيم كلانسي المذيع المخضرم في قناة "سي إن إن" استقالته مضطرّاً بعد أن وجّه انتقادات لإسرائيل في حسابه في موقع "تويتر"، على خلفيّة الهجوم على مجلة "شارلي إيبدو" الفرنسية. وكان كلانسي قد لمّح إلى تحريض إسرائيل للفرنسيين لزيادة الهجمات والضغوط على المسلمين، قائلًا: "إنّ الدعاية الإسرائيلية تتحمّل جزءاً من مسؤوليّة الهجوم". كذلك نشير إلى استقالة "جيم كاريتون" من صحيفة "سيدني مورنينغ نيوز" الأسترالية بعد أن انتقد ضربات إسرائيل الدموية في غزة.

ج – **التضليل وقت الحروب:** خلال الحرب الأولى على قطاع غزة أواخر عام ٢٠٠٨ وأوائل عام ٢٠٠٩، كان الأربعيني "أحمد سمور" يحمل في شاحنته التي كانت تقف بجانب مبنى الهلال الأحمر بغزة، أنابيب أوكسجين، بيد أنّ جيش الاحتلال الذي كان يقصف غزة بعنف ووحشيّة اعتبرها صواريخ غراد فدمّرها وقتل ابنه عماد وآخرين. حينها بثّت قنوات التلفزة الإسرائيليّة والأجنبيّة صوراً جويّة مصدرها الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي "أفيخاي أدرعي"، تزعم كذباً أنّ الطائرات الحربيّة استهدفت شاحنة في غزة محمّلة بالصواريخ. وفي الحرب نفسها، وحينما قصفت إسرائيل مدرسة الفاخورة التابعة لوكالة غوث

وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا" شمال قطاع غزة، وأوقعت خلالها العشرات من الشهداء والجرحى، تواترت عبر وسائل الإعلام الغربيّة وفقاً للرواية الإسرائيلية أنّ مقاتلين كانوا داخل المدرسة ويحملون صواريخ ضد إسرائيل. يضاف إلى ذلك أيضاً ما حقّقته ماكينة الدعاية الإسرائيلية من مكاسب كبيرة في الإعلام الغربي من نشرها صورة الطفل الفلسطيني الرضيع بحزام متفجّرات، عام ٢٠٠٢، حيث لم يفلح الفلسطينيون في إزالة أثر الدعاية الإسرائيلية، واكتفوا بنفي وجودها. وكانت إسرائيل قد زعمت أنّ قواتها عثرت على هذه الصورة خلال عمليات التفتيش التي قامت بها في إحدى المدن الفلسطينية، في حين لم تذكر أنّ قوّاتها أعادت احتلال جميع المدن وحبست مليون فلسطيني في منازلهم، وحرمت الأطفال الفلسطينيين من مدارسهم.

د – سحبت منظمة اليونسكو البساط من تحت قدمي الكيان الإسرائيلي، وأفشلت محاولاته لتزوير التاريخ وفرض حقائق مزيّفة تلائمه على الفلسطينيين ومدينة القدس المحتلة. إذ أقرّت لجنة المدراء التابعة لمنظّمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، في باريس بأن لا علاقة أو رابط تاريخي أو ثقافي لليهود في مدينة القدس والمسجد الأقصى المُبارك. وكانت إسرائيل قد بذلت جهوداً ديبلوماسيّة كبرى لمنع القرار، الذي قدّمته دولة فلسطين لمجلس المدراء التابع للمنظّمة المكوّن من ٥٨ دولة، أو تخفيفه، ولكنّها لم تنجح سوى بتغيير مواقف عدد قليل من الدول. وصوّتت ٢٤ دولة لصالح القرار الفلسطيني في مقابل ستّ دول فقط عارضته، و٢٦ دولة امتنعت عن التصويت فيما تغيّبت دولتان. وحدّد القرار هويّة المسجد الأقصى، وتضمّن بنداً خاصّاً يتعلّق بالحرم القدسي، يعرض فيه المكان على أنّه مُقدّس للمُسلمين فقط، من دون أي إشارة إلى قدسيّته بالنسبة لليهود.كما لا يظهر في القرار أي ذكر لكلمات "جبل الهيكل" (Temple Mount)، وإنما يُكنّى فقط بأسمائه الإسلامية، المسجد الأقصى، والحرم الشريف. كما تُسمّى منطقة الحائط الغربي باسمها العربي الإسلامي، ساحة البراق، التي سعت إسرائيل بشكلٍ مستمرٍ لتزوير هويّته الإسلاميّة بإطلاق مُسمّى "حائط المبكى" عليه. كما قرّرت المنظّمة إرسال لجنة تحقيق لتقصّي الحقائق حول مساس تل أبيب بالأماكن المقدّسة للمسلمين في مدينة القدس المحتلة. وأشار القرار إلى إسرائيل باعتبارها "قوّة احتلال"، كما ورد في القرار الذي اتّخذه المجلس التنفيذي لليونسكو.

هـ – الكاتب والباحث الأميركي المعروف هنري سيغمان، اعتبر أنّ ما يُسمّى عملية سلام الشرق الأوسط لا تعدو كونها أكبر عمليّة خداع في التاريخ الدبلوماسي المعاصر. واهتمام إسرائيل بها لم يتعدّ

استغلالها لضمان الموافقة الفلسطينيّة والدوليّة على إدامة الوضع الراهن (إدارة الأزمة لا حلّها). ويصف سيغمان أنّ عمليّة السلام هي مجرّد قصّة خياليّة Fiction لم تحقّق أكثر من غطاء أخفى دونه بدرجة رئيسة خطط إسرائيل للمصادرة المستمرّة للأرض الفلسطينية، ولإدامة احتلالها الهادف، بحسب موقف رئيس الأركان الإسرائيلي السابق موشي يعالون، للحفر في عمق الضمير الفلسطيني أنّ الفلسطينيين هم أمّة مهزومة. وفي هذا السياق لم تسقط بعد مقولة وأكذوبة "عرض باراك السخي"، الذي قيل أنّه قدمه لياسر عرفات في كامب دافيد ولكن الأخير، بحسب زعمهم، رفضه واختار طريق(الإرهاب) بدلاً منه. ولم تسقط الذرائع الإسرائيليّة التي تدّعي بأنّ الذي أعاق السلام هو (العنف أو الإرهاب الفلسطيني) – الإنتفاضة – وعدم توفّر الشريك الفلسطيني لإقامة السلام الإسرائيلي معه. وكذلك وضمن عمليّة الخداع المستمرّة لا تزال عمليّة الترويج تتواصل لمقولة الفرص المثاليّة التي يجدر بالفلسطينيين عدم تضييعها بعد أن أضاعوا الكثير منها فيما سبق من السنين، وهي خرافة لا يزال الكثير من المثقّفين والسياسيين العرب المرتزقة يكثرون من الترويج لها.

ويسخر الكاتب قائلاً إنّه لم يسبق أن حظيت عمليّة سلام فاشلة بمثل هذا العدد من فرص الأمل، معلّقاً على تفاهم بوش وأولمرت بالقول: "إنّ حديثهما الذي لم ينقطع عن التزامهما بحلّ الدولتين، لم يخفِ ما لديهما من تصميم لإسقاط حماس أولّاً وليس لبناء الدولة الفلسطينية، وهذا هو الذي أذكى حماسهما لتلميع وضع عباس تكتيكيّاً بحسب رأي الكاتب. ووصف سيغمان توقّع بوش وأولمرت هزيمة حماس بالوهمي، موضحاً أنّه لن يكون بمقدور المعتدلين الفلسطينيين الفوز على من يعتبرون متطرّفين لأن تعريف الاعتدال بالنسبة لأولمرت هو الإذعان الفلسطيني المطلق للمخطّطات الإسرائيلية بتقطيع أوصال الأرض الفلسطينية واحتلالها، في حين أنّ كل ما يمكن أولمرت وحكومته تقديمه للفلسطينيين مرفوض سلفاً من قبل عباس بالقدر نفسه الذي ترفضه حماس.

١٠– التضليل في مقابل ضعف الإعلام العربي:

لقد استثمرت الدعاية الصهيونيّة ضعف الإعلام العربي وخضوعه للسياسات الاستسلاميّة في أبعادها الإقليميّة والدوليّة وتحرّكت بشكلٍ ناشطٍ وفعّال في عدّة بلدان وذلك لترسيخ منطلقات دعائيّة كاذبة نذكر منها:

أ. التركيز على اعتبار مدينة القدس عاصمة أبديّة موحّدة لليهود وكيانهم الغاصب وعلى استمراريّة وجود المستوطنات والتوسّع بها في الأراضي العربيّة المحلّتة.

ب. إثارة ما يسمّى بمشكلة اللاجئين اليهود من الدول العربية وضرورة تعويضهم عند إثارة مسألة اللاجئين الفلسطينيين الذين أجبروا على الرحيل عن وطنهم بالقهر والعنف في حرب عام ١٩٤٨.

ج. الحرص على تقديم إسرائيل كدولة راغبة في السلام من أجل تحسين صورتها لدى الرأي العام العالمي لإحراز النجاحات الدبلوماسيّة والسياسيّة.

د. اتّباع أساليب المماطلة والتسويف والدخول في القضايا والتفاصيل الفرعيّة التكتيكيّة والابتعاد عن القضايا الجوهريّة الإستراتيجيّة كسباً للوقت واستثماراً لما يجري على أرض الواقع من تهويد للأرض وخلط الأوراق والتغيير الديموغرافي وغير ذلك.

هـ . التأكيد على المعجزات التي حقّقها الكيان الصهيوني في "الصحراء" التي تسمّى فلسطين والتي أهملها "الغزاة العرب" ودمّروا معالم الحياة فيها.

و. التذكير المتواصل بأنّ الكيان الصهيوني هو تحقيق لنبوءة دينيّة وردت في العهد القديم. ومن ثم استغلال الموروث الديني المشترك (العهد القديم والعهد الجديد – التوراة ثم الانجيل) تجاه العالم المسيحي والتراث اليهودي للتأكيد على أنّ اليهود جزء لا يتجزّأ من الحضارة الغربية، وأنّ اليهوديّة هي (أصل الديانة المسيحيّة وتتمّة وتكملة لليهودية).

ز. التذكير المتواصل بفظائع النازيّة وأنّ إنشاء الكيان الصهيوني جاء ليشكّل حلاً تاريخيّاً "إنسانيّاً" للمشكلة اليهوديّة.

ح. تصوير معاداة العرب للكيان الصهيوني على أنّها نِتاج تعصّب ديني وعنصري ضدّ اليهود خاصّة وضدّ حضارة العالم الغربي عامّة.

ط. تصوير الكيان الصهيوني بأنّه مهدّد باستمرار من قبل جيرانه العرب الذين يحلمون بتدميره وقذف اليهود الأبرياء في البحر وذلك لتغطية كل أشكال التوسّع والعدوان.

ي. التأكيد على حاجة الكيان الصهيوني الملحّة للاعتماد على مساعدة أوروبا وأمريكا من أجل تحقق متطلّباته الأمنيّة التي تصبّ في النهاية في مصلحة الغرب وأميركا.

١١- الإعلام الكاذب والداخل الإسرائيلي:

الدعاية الإسرائيلية، على المستوى الداخلي، تخضع هي أيضاً للتوجيه والإشراف والرقابة والتخطيط من قبل الجهاز التنفيذي الحكومي، وخاصّةً في القضايا ذات الحساسيّة التاريخيّة والأمنيّة ... والإشراف والرقابة، وذلك يجيز لقادة الجهاز الحكومي، التأثير على الرأي العام الداخلي وتوجيهه وتعبئته خلف السياسة الحكوميّة الإحتلاليّة التوسعيّة. كما أنّ الإشراف الحكومي، يساهم في عملية التنشئة الاجتماعيّة والايديولوجيّة والتربويّة، وزرع المفاهيم الصهيونيّة في وعي اليهود والمستوطنين الجدد في الأراضي العربيّة المحتلّة. والدعاية الإسرائيليّة الموجّهة إلى الداخل، تأخذ أبعادها من صورة الصراع العربي - الصهيوني و ذلك من خلال:

- تكرار الحديث عن مجموعة المنطلقات والمبادىء الصهيونية التي تشكّل قاسماً مشتركاً لجميع أفراد المجتمع اليهودي والمتعلّقة بالادّعاء بحقّ اليهود الشرعي والتاريخي في الوجود داخل فلسطين، استناداً إلى (حقّ إلهي في أرض الميعاد).

- لمّا كان اليهود هم (شعب الله المختار)، بحسب زعمهم، فلا بدّ أن يكونوا في حالة تميّز وتفوّق، ويترتّب على هذا زرع مفاهيم مثل (الأمّة اليهوديّة والقوميّة اليهوديّة)، وأنّ الحركة الصهيونيّة هي (حركة تحرّر وطني) .. و ذلك عبر صيغة تجنيد المتحدّثين والخطباء في الاجتماعات التي تُعقد في المناسبات العامّة، كذكرى (مذابح اليهود) على يد النازيّة، أو (الانتصار) في حرب حزيران .... أو عبر الأفلام التوجيهيّة والتربويّة وفي القرى والأرياف بالذات .. و يرافق كل ذلك (تشويه التاريخ والجغرافيا العربيين، وتغيير المعالم الثقافيّة في الأماكن المقدّسة والتاريخيّة وخاصّةً القدس، وانتحال الفلكلور الفلسطيني والعربي في محاولة لإيهام المستوطنين الجدد بأنّ (لليهود ثقافة عريقة موحّدة).

بالرغم من أنّ الدعاية الإسرائيليّة نجحت في مهمّة التنشئة الايدولوجيّة داخل الكيان، لكنّها أخفقت في أن تكون أداة لتوحيد فئات المجتمع الإسرائيلي، وخاصّةً بين اليهود الغربيين والشرقيين، أي (الاشكناز والسفاراد)، إذ يسيطر الاشكناز على مقاليد السلطة بشكلٍ شبه مطلق ويعاملون السفاراد كطبقة أدنى مرتبة منهم إذا ما تولّى يهودي شرقي منصباً مهماً، فليس ذلك أكثر من ذرّ للرماد في العيون.

١٢- تفنيد الأكاذيب الدينيّة:

يرى أغلب المؤرّخين أنّ أوّل من سكن فلسطين هم الكنعانيون، وهي القبائل العربيّة السامية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية (الساحل الغربي للخليج العربي)، وتمركزت في فلسطين، فدعيت هذه الأرض باسم (أرض كنعان)، ليكون بذلك أول اسم تحمله فلسطين. وبقيت للكنعانيين السيادة ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة، أي من ٢٥٠٠ ق.م إلى نحو ١٠٠٠ ق.م، حين تمكّن اليهود من إعلان مملكتهم. ولعل فلسطين أقدم بقاع الأرض التي عرفت التوحيد، عندما هاجر إليها سيدنا إبراهيم (عليه السلام) قادماً من العراق في نحو عام ١٨٠٥ ق.م، ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط وغيرهم ليعمل على نشر دعوته، وهي الدعوة الحنيفيّة السمحة، كما جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: ٦٧].

ويذهب المؤرّخون إلى أن اليهود كانوا أدنى حضارة ورقيّاً من الكنعانيين وأنهم اقتبسوا من هؤلاء الكثير من حضارتهم وثقافتهم وآدابهم وطقوسهم، وأن ما شُيّد في عهد اليهود من قصور وهياكل إنّما تمّ بمساعدة الفينيقيين. ويبقى التأكيد، على أنّ اليهود الحاليين ليسوا عنصراً متجانساً، وبالتالي فإنّ الحنين الصهيوني المزعوم إلى فلسطين و"حق" اليهود في العودة إلى "صهيون" (القدس)، إنّما هو خرافة ووهم، فضلاً عن أنّ عرب فلسطين هم السكان الشرعيون للبلاد منذ أقدم الأزمان، قبل ظهور اليهود فيها. وبالنسبة للهيكل الذي بناه سيدنا سليمان عليه السلام في بيت المقدس، فإنّه لم يكن لليهود قطّ باعتبارهم يهوداً، كما لم يبنه سيدنا سليمان (ع) لهدف عنصري أو طائفي أو قومي، إنّما بناه لعبادة الله الواحد الأحد وطاعته. وهذا معناه أنّ الإسلام بمعناه الخاص الذي جاء به الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه واله وسلم هو الوارث لحكم النبي سليمان عليه السلام، لأنّ هدف الرسول صلى الله عليه واله وسلم هو أن يسلم معه الناس لله رب العالمين.

من ناحية أخرى ورث المسلمون فلسطين وحقّقوا الهدف السابق لسيدنا سليمان(عليه السلام)، في دعوة الناس إلى اعتناق الإسلام لله رب العالمين، وشيّدوا المساجد لتحقيق هذا الهدف، وبنوا المسجد الأقصى في القدس الشريف لتحقيق ذلك، فكان المسجد بيتاً لله، كما كان هيكل سليمان بيتاً إسلامياً يسلم فيه الناس لله الواحد رب العالمين. فلا حقّ لليهود في سليمان، ولا في فترة حكمه، ولا في هيكله، ونحن المسلمين الأحقّ بوراثته.

أما الإدّعاء اليهودي بأنّ الهيكل قبل الأقصى، وأن المسلمين هم المعتدون، لأنّهم بنوا المسجد الأقصى مكان الهيكل، وأنّ اليهود الآن يريدون إعادة الحق إلى نصابه، فإنّه لمن المؤكّد أن هذه المزاعم هي مجرّد إشاعات وأكاذيب دعائيّة باطلة، فقد أخبرنا الله عز وجل أنّ الأقصى بُني قبل الهيكل باعتباره ثاني مسجد بُني في الأرض كما قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم في الحديث الشريف. كما أنّ النبي إبراهيم عليه السلام باني الأقصى وسليمان عليه السلام باني الهيكل من مئات السنين، وتخبرنا التقارير الصادقة أنّ الوجود الإسلامي على أرض فلسطين أسبق زمنيّاً من الوجود اليهودي، فلا حقّ ولا ملكيّة لهم بالرغم من كل ما يفترون.

١٣- كيف يتعاطى الإعلام الغربي مع الدعاية الإسرائيلية؟

لقد دلّلت الأحداث المتتالية في المنطقة على تدهور صورة إسرائيل في الغرب كدولة تدّعي الديمقراطية، وذكرت خبيرة العلاقات العامّة جانيفر لازلو مزراحي، لوكالة الأنباء اليهودية أن خسارة إسرائيل لعقول وقلوب الشعب الأمريكي تعود إلى عدّة أسباب، على رأسها تغطية الإعلام الأمريكي المكثّفة للانتفاضة الفلسطينية، ممّا أشعر الأمريكيين بالإرهاق من دائرة العنف التي لا تنتهي، وزاد من رغبتهم في وقوف بلدهم على الحياد. وانتقدت مزراحي إستراتيجيّة الدعاية الإسرائيلية مؤكّدةً الفشل في تنويع وتجديد الرسالة الإعلاميّة، والتي كررت نفسها كثيراً خلال الأعوام الماضية بشكلٍ جعل الإعلام الأمريكي ينظر إليها على أنّها الطرف المعتدي والقامع. وحتى يحافظ الإعلام الإسرائيلي على نشاطه في الساحة الأمريكية تحديداً، فقد أطلق مؤتمر رؤساء المنظّمات اليهوديّة الأمريكيّة خدمة إخباريّة يوميّة مجّانيّة موجّهة نحو قادة الرأي الأمريكيين. وكثّفت لجنة الشؤون العامّة الأمريكية الإسرائيلية (الإيباك) من جهودها في تنظيم رحلات لصنّاع القرار الأمريكي لإسرائيل، وأطلقت مجموعة من رجال الأعمال اليهود الأمريكيين بكاليفورنيا منظّمة جديدة تدعى "Israel21C " للعمل على تنشيط تغطية إخباريّة لإسرائيل غير متعلّقة بالصراعات، كما انضمّ بعض الأكاديميين المساندين لإسرائيل للحملة مثل أستاذ القانون بجامعة هارفرد، آلان درشوتز، الذي قرّر كتابة كتاب يسمّى "قضية إسرائيل" لدحض أكثر الانتقادات الموجّهة لإسرائيل شيوعاً. ونشرت منظمة "مشروع إسرائيل"، كُتيّباً لتوعية اليهودي الأمريكي العادي بسبل شرح قضية إسرائيل للمواطن الأمريكي. وهناك مشروع بعنوان المشروع الإسرائيلي، وهو عبارة عن رسائل يوميّة لعددٍ من الإعلاميين العرب تتضمّن تقارير صحافيّة للنشر، وصوراً لآثار صواريخ حركة المقاومة

الإسلامية حماس وغيرها من حركات المقاومة الفلسطينية على المستوطنات الإسرائيليّة، إضافةً إلى دعوات شخصيّة للمشاركة في مؤتمرات صحافيّة.

يدّعي هذا المشروع من خلال موقعه أنّه منظّمة دوليّة غير ربحيّة تهدف إلى تلقين الصحافة والرأي العام من خلال الترويج للأمن، الحريّة والسلام، وأنّه غير مرتبط بأي حكومة أو وكالة حكوميّة، ويزوّد الصّحافيين وصنّاع الرأي العام بمعلوماتٍ دقيقةٍ عن إسرائيل من خلال خبراء وصحافيين سابقين، معتمداً كما يبدو على دعم إعلامي غير معلن، كذلك يقدّم هذا المشروع فرصة التقدّم إلى منح إعلاميّة بل يوفّر الفرصة لمن يريد التطوّع من أجل المشروع. ويحاول المشروع تبرير كل الجرائم الإسرائيلية عبر تقديم نبذة عن العمليات التي جرت في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م بصفتها "عمليات إرهابية"، ومستشهداً بعددٍ من المقالات الصحافيّة والمواقع التي تدعم رأيه. وآخر نشاطات هذا المشروع إصدار تقرير بعنوان قاموس اللغة العالمية لمركز إسرائيل بروجيكت ٢٠٠٩. وقد استغلّت الآلة الإعلاميّة الإسرائيليّة التقنيّة في جولتها الإعلامية واستطاعت حكومة تل أبيب أن تفتح جبهة ثانية بالموازاة مع جبهتها على أرض الواقع، وأن تخوض حرباً افتراضيّة عبر استغلال الشبكة العنكبوتيّة في حملاتها التبريريّة، لكسب الثقة العالميّة وتبرير ما تقوم به من عدوان على الفلسطينيين، ولذلك أنشأت قناة خاصة على موقع اليوتيوب نشرت من خلالها عملياتها العسكرية وضرباتها المتتالية لما أسمتهم "إرهابيي حماس". هدفت هذه القناة إثبات أن من يقتلهم الجيش هم من مقاتلي حماس المسلّحين لا المدنيين الأبرياء، مثل بثّ فيديو يزعم أنّه لعملية قصف لمقاتلين في حركة حماس وهم ينقلون الأسلحة والصواريخ، حيث تظهر مثلاً مجموعة من الرجال منهمكين في شحن مواسير طويلة في الصندوق الخلفي للسيارة، وتؤكّد إسرائيل أن تلك المواسير هي في الحقيقة صواريخ القسام. والأمر ليس مقتصراً على موقع اليوتيوب، فقد اغتاظت الجهات الرسمية في إسرائيل من نشر موقع غوغل صورة محمد أبو تريكة الذي كتب على قميصه تضامناً مع غزة، والتي ظهرت على قميصه خلال مباراة منتخب بلاده مع المنتخب السوداني في كأس الأمم الإفريقية غانا ٢٠٠٨، ممّا جعل إسرائيل تطلب من شركة غوغل منع ظهور الصورة التي التقطت للاّعب خلال المباراة، وعند البحث عن صورة اللاعب في الموقع بكل اللغات تظهر صورته من دون الصورة التي ارتدى فيها "القميص" رغم أنّها كانت متاحة من قبل ذلك للمستخدمين.

لقد أقرّت وزارة الخارجية الإسرائيلية مشروع لتغيير صورة إسرائيل على الإنترنت، خصوصاً أنّها اكتشفت أنّ إسمها على موقع غوغل أصبح مرادفاً للدمار وخاصّةً بعد الإعتداء على غزة شتاء عام

٢٠٠٩، فقرّرت أن تكون حملتها مركّزة لتلميع صورتها وتزوير الحقيقة، ولو كلّف الأمر الاستعانة بأبرز الخبراء في هذا المجال.

"فوكس نيوز" هي إحدى القنوات الإعلاميّة الأمريكيّة الداعمة للسياسة الإسرائيلية. ولا بدّ من التنويه إلى وجود فرق واضح بين الشقّ الأمريكي من الإعلام الغربي والشق الأوروبي، عند تعاطيهما مع الدعاية الإسرائيلية، على الرغم أنّهما ينتميان إلى عالمين يعملان على أرضيّة رأسماليّة متشابهة ومختلفة في الوقت نفسه. لذلك، ما يقوله الإعلام الأمريكي في محطات مثل "فوكس نيوز" وغيرها ممّن تنتمي إلى أحزاب يمينيّة، أسوأ أحياناً ممّا يقوله الإعلام الإسرائيلي نفسه عن إسرائيل وسياساتها العنصريّة ضد العرب والفلسطينيين.

وبالتالي، نجحت إسرائيل في ذلك إلى حدٍّ كبيرٍ، إذ اعترفت بها الدول الكبرى وأثنت على تأسيسها، بل ودعمتها بقوّةٍ على حساب الحقوق العربية الفلسطينية، السياسيّة والإنسانيّة، وجاء الدعم والاحتضان الغربي لإسرائيل في سياقاتٍ عديدة. ومن أبرز هذه السياقات، أنّ إسرائيل نجحت في تسليط الضوء على معاناة اليهود في أوروبا وما لحق بهم من دمار وجودي ونفسي غير إنساني على يد النازيّة واللاساميّة، ما أكسبها تعاطف الكثيرين من الغربيين الذين شعروا بالذنب حيالهم. وتبلور هذا التعاطف أكثر في سياق الصور النمطيّة السيّئة عن العرب في الغرب، حيث لم يخطر على بال الكثيرين أنّ للعرب ثقافةً وتاريخاً عريقين، وبأنّ أرضهم المحتلّة، أي فلسطين، ليست كما صوّرها غلاة الصهيونيّة وأبواقها، خالية من البشر أو تنتمي إلى شعب لا يستحقّها، وغير ذلك من الادّعاءات والافتراءات العنصريّة الممقوتة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض).

وثمّة من يرى أنّ الإعلام الغربي الأمريكي أكثر تغولاً وغباءً، في أحيانٍ كثيرة، فيما يتعلّق بإسرائيل. فهناك تأييد أيديولوجي أعمى وعميق حتى لجرائمها وأعمالها الأشدّ عدوانية، فيما قد نجد في الإعلام الأوروبي بشكلٍ عام تعاطفاً وتفهّماً أكبر للقضية الفلسطينية، مثل "القناة الرابعة" في بريطانيا، وجرائد ليبرالية إلى حدٍّ ما، مثل "الغارديان" و"الإندبندنت"، ولذلك فإنّه من الصعب التعميم. مع ذلك فالدعاية الإسرائيلية حيّة في الإعلام الغربي، لكن ليس بالصورة التي كانت عليها في الماضي، حيث كانت مسيطرة سيطرة شبه تامّة، ولم يكن للعرب أي نصيب إعلامي من الفهم الغربي للقضية الفلسطينية ولحقوق الفلسطينيين في أرضهم وعليها.

وفي هذا السياق يروي رئيس الوزراء الإسرائيلي الأول، دافيد بن غوريون، في مذكّراته عن حياته وتجربته، شهادته عن حرب ١٩٤٨، وخاصّة تفسيره لأسباب بقاء ما يقارب الثلاثمائة ألف فلسطيني في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ فيقول إنّه سأل القائد العسكري لمنطقة شمال فلسطين عن الأمر فأجابه أن ذلك تمّ بناءً على توصياته. فأثار جواب الضابط الشاب دهشة بن غوريون، وحين سأله بن غوريون أن يفسّر له تلك الأحجية، قال الضابط بثقة: "سيدي.. لقد قرأت أمرك العسكري اليومي والذي طالبت فيه بضرورة المحافظة على حياة المدنيين. لقد فعلت ذلك تماما". فقال بن غوريون بأسى: "يا بني لقد فهم الجميع أمري ذاك كما ينبغي على ضابط إسرائيلي أن يفهمه. وأنت الوحيد الذي فهمني خطأ". موضحاً مغزى كلماته: "هل كنت تريدني أن أوثّق في أرشيف وزارة الدفاع أمراً مكتوباً وموقّعاً منّي بالتخلّص من المدنيين"؟!!

لقد أوجدت الآلة الإعلاميّة الإسرائيليّة التضليليّة مجموعة من الوسائل، ومنها الاتّصال الشخصي من خلال إرسال المندوبين والممثّلين، الذين يتسرّبون باسم منظّمات الصداقة والتعاون، ويقدّمون المعونات الثقافيّة والمنح الدراسيّة في العالم، أو إرسال الأساتذة إلى إسرائيل، حيث استطاع خبراء العلاقات العامّة في أجهزة الإعلام الإسرائيلية التغلغل في جامعات ومعاهد ومراكز ووسائل الإعلام في الدول النامية وسيطرت العناصر الموالية لإسرائيل على أغلب أقسام دراسات الشرق الأوسط والدراسات الشرقيّة واللغات السامية في الجامعات الأوربية والأمريكية. من ناحية أخرى تسخّر إسرائيل الكثير من إمكانيّاتها الماليّة والسياسيّة والدبلوماسيّة والإعلاميّة لفرض تبنّي وجهات نظرها في صراعها المستمرّ مع الفلسطينيين والعرب والمسلمين منذ عقود عديدة، وذلك عبر قلبها الحقائق أو تزييفها، ممّا من شأنه تهيئة الرأي العام لتقبّل انتهاكاتها وجرائمها السياسيّة والعسكريّة على أرض الواقع. وهذا كلّه تمارسه عبر منظومة دعائيّة تحمل في طيّاتها أساليب وأدوات وأشكالاً عدّة لتوجيه الرأي العام الغربي والعربي بحسب مفاهيمها ومخطّطاتها الاستعماريّة التوسعيّة.

وقبل أي شيء لا بدّ من التعرّف على مصادر ووسائل الدعاية الإسرائيلية بشكلٍ عام، والتي تتلخّص في ما يلي:

أولاً: التوراة أو العهد القديم وما يرتبط بالدعاية اليهودية من معتقدات ومبادئ تقليدية، حيث تعدّ الديانة اليهودية وتعاليم التوراة المزوّرة من المصادر الرئيسة للدعاية اليهودية في العالم عموماً والغرب خصوصاً من أجل التحكّم بوعي الجماهير واستغلال الناس البسطاء، عبر شعارات أهمّها الاستقلال الذاتي

لليهود، الشعب اليهودي المختار، أرض اسرائيل، حرب التحرير المقدّسة، إسرائيل التوراتيّة، وغيرها من المصطلحات.

ثانياً: فلسفة وآراء المفكّرين الإمبرياليين والعنصريين: اتّبع زعماء الصهيونيّة نهج الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه وعنصريّته وكرهه للدين والأخلاق وكرّسوها في كتبهم ومقالاتهم وأعمالهم، وهذا ما أخذ به زعيمهم الأكبر تيودور هرتسل.

ثالثاً: الأفكار الاقتصاديّة للصهيونيّة العالميّة: يتمحور هذا المصدر حول ما يسمّى بالاشتراكيّة الصهيونيّة المزعومة وشعاراتها المزيّفة، مثل الهستدروت (اتّحاد نقابات العمال)، الكيبوتسات (المستوطنات الجماعيّة الزراعيّة)، اشتراكيّة دوليّة، اشتراكيّة صهيونيّة، ديمقراطيّة شعبيّة...

رابعاً: الآراء الفلسفيّة للصهيونيّة الثقافيّة: هي واحدة من مصادر الدعاية الرئيسة في كيان العدو، حيث تبوّأت مكانة بارزة في الفكر الصهيوني المعاصر، وركّز دُعاتها على شعارات "الروح القوميّة الأبديّة، والشعور المشترك اليهودي، وحقوق الفرد اليهودي، ورسالة الشعب اليهودي". ومن أبرز ما تتناوله الدعاية الإسرائيلية في المجتمع الغربي: إشاعة الاعتذاريات الإسرائيلية المختلفة عن أنّ اليهود شعب عضوي غربي أبيض، أو شعب يهودي خالص، وأنّ الجماعات اليهودية هي في واقع الأمر "أمّة يهودية" واحدة، لا بد من جمع شمل أعضائها لتأسيس دولة يهوديّة موالية للغرب في فلسطين.

١٤- مضامين الدعاية الإسرائيلية في الغرب:

ركّزت الدعاية الصهيونية ومن ثمّ الإسرائيلية في الغرب، على محاولة إعادة إنتاج صورة اليهودي البائس والمظلوم، لتوظيفها في خدمة المشروع الصهيوني الاحلالي التوسّعي. فاليهودي بحسب هذه الدعاية إنسان لا جذور له، وهو مُضطهد ومشرّد بشكلٍ دائمٍ عبر التاريخ وبالتالي لابدّ من احتضانه وتخليصه والتخلّص منه في الوقت عينه. من أجل ذلك توجّهت الصهيونيّة الثقافيّة إلى الجماعات اليهوديّة المختلفة، لتوضح لها أنّ وجودها في عالم الأغيار(غوييم)، يتهدّدها ويهدّد هويّتها الدينيّة والقوميّة بالخطر، مع التركيز على دعوة اليهود للخروج من المعازل (غيتويات) في الغرب، والهجرة إلى فلسطين أو "ارض إسرائيل". وركّزت هذه الصهيونيّة على قضيّة العداء الأزلي لليهود، وعلى الإبادة النازية المزعومة لستة ملايين يهودي، علماً أنّ أوروبا كلّها لم يكن فيها هذا العدد المبالغ فيه من اليهود، وذلك لابتزاز العالم

الغربي، وتبرير عملية اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم وديارهم، وصولاً إلى التغوّل الإسرائيلي داخل أراضي الضفة الغربية المحتلة والقدس عبر اقتلاع مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخاصة بالفلسطينيين، وهدم منازلهم، وإقامة مستوطنات بدلاً منها، على اعتبار أنّها "حق حصري" للمستوطن اليهودي.

على ضوء ما تقدّم يمكننا القول أنّ الدعاية الإسرائيلية ركّزت على موضوعات محدّدة لخدمة أهدافها وإن اختلفت تبعاً لمتغيّرات الواقع الزمانيّة والمكانيّة، ومن أبرزها:

– الادّعاء بأنّ الشراذم اليهوديّة الموزّعة في الشتات هي في الواقع "أمّة يهوديّة واحدة" لابدّ من جمع شمل أعضائها لتأسيس دولة يهوديّة وظيفيّة في فلسطين خدمةً للمصالح الاستعماريّة.

– هدم المعالم المعنويّة للشخصيّة العربيّة ونعتها بالصفات السلبيّة المطلقة، عبر غرس مفاهيم صهيونيّة دعائيّة مبالغ فيها مثل جيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يقهر، والسلام العبري ...

– الترويج لكذبة أنّ إسرائيل ليست دولة معتدية، وإنّما تحاول الحفاظ على بقائها وأمنها بوجه الوحشيّة العربيّة والإرهاب العربي (نظريّة إيهود باراك أنّ إسرائيل هي بمثابة فيلا في غابة مليئة بالوحوش).

– الترويج لما يسمّونه حرب التحرير المستمرّة منذ العام ١٩٤٨ لتأكيد الحقوق التاريخيّة المطلقة المزعومة للمستوطنين اليهود، والإغفال المتعمّد لحقوق الفلسطينيين أصحاب الأرض الشرعيين.

– الترويج لمقولة التهديد المستمر الذي يتعرّض له اليهود من قبل الفلسطينيين ممّا يوجب عليهم البقاء مستعدّين ومتفوّقين عسكرياً. وبالتالي فالمستوطن اليهودي في إسرائيل يجب أن يبقى قوياً للغاية وقادراً على سحق أعدائه وضربهم في عقر دارهم.

– الزعم المستمرّ بأنّ إسرائيل واحة وحيدة للديمقراطيّة الغربيّة في وسط عالم عربي متقلّب وخطير.

– استبدال صورة اليهودي التقليديّة في الوجدان الغربي والمتمثّلة في أنّه (خائن، بخيل، مرابي، جاسوس) بصورة جيّدة وجديدة تماماً، فيصبح اليهودي: (مسالماً، ذكياً، منتجاً، متحضّراً). في مقابل العمل على ترسيخ صفات نمطيّة سلبيّة عن العربي الذي أصبح: (متخلّفاً، بربريّاً، جشعاً، شهوانيّاً، عدوانيّاً، إرهابيّاً، جباناً، قاتلاً بالفطرة).

– التذكير المستمرّ بالإبادة النازية لليهود لاستمرار ابتزاز العالم الغربي ماديّاً وسياسيّاً، وتبرير عملية اقتلاع الفلسطينيين من بلادهم.

وامتداداً للحرب الإعلاميّة الصهيونيّة فإنّ إسرائيل استغلّت قانون "جيسو" الفرنسي الصادر عام ١٩٩٠ الذي يسمح بمقاضاة المتّهمين "بمعاداة اليهود"، أو ما يعرف باسم "معاداة الساميّة" في كبت حريّة التعبير، وخنق حريّة الرأي لكل من يتجرّأ على انتقاد السلوك الإسرائيلي، فقد مثل أمام القضاء الفرنسي عدد من المفكّرين والكتّاب والأدباء العرب والغربيين بتهمة التحريض على "معاداة اليهود". نذكر منهم نقيب الصحفيين الأسبق "إبراهيم نافع" والمفكّر الفرنسي "روجيه جارودي". كما لم تسلم "هيلاري كلينتون" قرينة الرئيس الأمريكي السابق من هذه التهمة، حينما صرّحت في إحدى المناسبات بأن الفلسطينيين يستحقون دولة لهم بجوار إسرائيل.

١٥– خاتمة

هناك عدّة عوامل ساعدت على النجاح النسبي الذي حقّقته الدعاية الإسرائيلية في "شيطنة" منتقدي الاحتلال ومقاومي التعسّف الناجم عنه. فقد وظّفت هذه الدعاية ما تعرّض له اليهود على أيدي النازيين في الحرب العالمية الثانية بشكلٍ خاص، واستغلّت الشعور بعقدة الذنب المهيمنة على العديد من الدول الأوروبية حيال ذلك، من أجل وصم كل نقد لدولة الاحتلال الصهيونية على اعتبار أنّه معاداة للساميّة. وفي الوقت نفسه ساهمت أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ في إنجاح الدعاية الإسرائيلية، وفي إحداث انقلابات هامّة في نظرة العالم للمقاومة الفلسطينية والإسلامية. فلم يعد الكثير من دول العالم يرى فروقاً بين تنظيم القاعدة وبين حركات المقاومة الفلسطينية على اختلافها، ووصل الأمر إلى حدّ توقيع الرئيس بوش على مرسوم يقضي بتعيين مبعوث أمريكي خاص لمتابعة مظاهر اللاساميّة في العالم وتقديم تقارير بشأنها لمعاقبة الأطراف المتورّطة فيها. لكن أهم عامل ساهم في إنجاح الدعاية الإسرائيلية هو الدونيّة التي ميّزت الموقف العربي حيال هذه الدعاية، والقبول العملي بالأحكام التي تصدرها إسرائيل بشأن العرب والمسلمين عموماً والمقاومة الوطنية في فلسطين ولبنان وسائر الدول العربية خصوصاً. في الوقت نفسه لم يكن هناك جهد عربي منظّم يُعنى بالاهتمام بالشواهد اللامحدودة التي تعكس التعاطي الإسرائيلي العنصري تجاه العرب لكونهم عرباً، وشنّ حملة عربيّة مضادّة قائمة على الحقائق لفضح زيف الدعاية الإسرائيلية، ومطالبة العالم بموقف صريح وعادل منها. ولم يحرّك أحد من المسؤولين العرب أو المسلمين ساكناً عندما

وصف وزير الصحة الإسرائيلي السابق المسلمين بأنهم "ثعالب ارتقوا بالتدريج إلى مرتبة الأفاعي والعقارب"، ولم يحرّك أحد منهم ساكناً عندما قال الوزير الإسرائيلي إيفي إيتام "إني لا أصف هؤلاء الفلسطينيين بأنهم حيوانات لأنهم مخلوقات جاءت من أعماق الظلمة، وسوف نضطر لقتلهم جميعا". فلماذا لا تتحرّك جامعة الدول العربية –ولو من باب تسجيل الموقف الرمزي المضاد– لإطلاع العالم على آخر الفتاوى التي صدرت عن كبار المرجعيات الروحيّة اليهوديّة التي أباحت للمستوطنين سرقة محاصيل المزارعين الفلسطينيين، بل وتسميم مواشيهم وآبار مياههم. وما المانع من مواجهة ما قاله الحاخام مردخاي إلياهو، أكبر مرجعيّة للإفتاء في الدولة العبريّة والذي يأتمر بإمرته ربع نواب الكنيست، حينما قال: "إنّ اليهودي الذي يبيد الفلسطينيين إنّما يؤدي فريضة أنزلها الرب".

لقد كان من الممكن إلقاء الكرة –وبحق– في الملعب الإسرائيلي لو تحرّكت السفارات العربية في عواصم العالم المسيحي لإطلاع الناس هناك على نظرة المرجعيّات الروحيّة اليهوديّة للمسيحيّة، بدلاً من حصر الاهتمام بما يصدر عن رجال الدين المسلمين وبالذات في مسألة العمليات الاستشهادية. ويكفي هنا الإشارة إلى ما قاله أحد أهم المرجعيّات الدينيّة اليهوديّة الحاخام حتنائيل أتروغ الذي قال: "المسيحية تشبه خنزيرا ينزع أظلافه... يموه على دناسته الداخلية... المسيحية أفعى تنفح، برازها يتسلّل إلى قلوب أبناء شعب الرب..."، أو ما يقوله الحاخام روبي فايندروف: "إذا لاحظت شرا في يهودي فإنك تكون اكتشفت الجزء غير اليهودي الذي فيه".

لقد جاء في بنود الميثاق الوطني الفلسطيني أنّ فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني، وأنها بحدودها التي كانت قائمة أيام الاحتلال البريطاني هي وحدة لا تتجزّأ، وأن الشعب الفلسطيني هو صاحب الحقّ في أرضه، وأن الكفاح المسلّح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وأنّ قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ هو قرار باطل، وأن قيام "إسرائيل" باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن، وأن الحركة الصهيونيّة حركة عنصريّة عدوانيّة توسّعيّة غير مشروعة، و"إسرائيل" هي أداتها، وهي مصدر دائم لتهديد السلام. لكن للأسف تنازل بعض القيادات الفلسطينية عن أغلب هذه البنود إثر خديعة أوسلو عام ١٩٩٣ التي بسببها وتحت غطائها احتل الصهاينة ما تبقّى من أراضي الضفة الغربية وشرّدوا اهلها ، لكن مع ذلك تبقى قضية اللاجئين الفلسطينيين هي جوهر القضية الفلسطينية، التي هي قضية الشعب الذي اقتلع من أرضه بعد أن أقام فيها لآلاف السنين، ولم يكن للمشروع الصهيوني أن ينشأ فيها إلا بعد أن دمّر النسيج الاجتماعي لهذا الشعب، ودمّر أكثر من ٤٠٠ من قراه ومدنه، وصادر أكثر من ٩٠% من أراضيه، واغتصب ممتلكاته ومبانيه ومصانعه وأوقافه. والآن يوجد من بين ١١ مليونا و٤٠٠ ألف فلسطيني في العالم، نحو ستة ملايين

و٣٠٠ ألف من اللاجئين الفلسطينيين من أبناء الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨، أي نحو ٥٥% من أبناء الشعب الفلسطيني، يعيش أربعة ملايين ونصف المليون منهم خارج فلسطين التاريخية، بينما يقيم مليون و٨٠٠ ألف في الضفة الغربية وقطاع غزة. وبالتالي فحقّ العودة هو مصير هذا الشعب المظلوم، وليس مجرّد ورقة للمساومة، وهو حقٌّ طبيعي وأصيل وإنساني، ويحظى بإجماع دولي، وصدر فيه ما يزيد عن ١٢٠ قراراً دولياً، وهو فضلاً عن كونه حقاً جماعياً، فإنه حقّ فردي لا يملك لاعبو السياسة الإقليميين أو الدوليين ولا أي جهة أو فصيل التنازل عنه إلى الأبد.

إنّ أبسط مقتضيات الإنتماء لهذه الأمّة يفرض التحرّك المباشر والمكثّف لكشف وفضح الشياطين الحقيقيين الكبار والصغار في الداخل والخارج وعرض صورهم وجرائمهم، وليس قدراً أن تنجح إسرائيل ومؤيدوها في "شيطنة" كل من يخرج بشرف ضد الاحتلال وينتقده. إن الدول العربية تخطئ بمواصلة التعامل بلامبالاة، إن لم يكن بتواطؤ، مع الدعاية الإسرائيلية التي لا تقبل غير التوافق التام ليس فقط مع روايتها الرسمية لأحداث التاريخ، بل وقبول التفسير الصهيوني لهذه الأحداث. والردّ العملي على هذه الدعاية الكاذبة والظالمة هو الدعم العربي المطلق رسميّاً وشعبيّاً ومن دون التباس لحق الشعب الفلسطيني في استرداد أرضه ووطنه وممارسة كل أشكال المقاومة الشريفة والواعية حتى إزالة الاحتلال عن بكرة أبيه.